

النص الشعري التراثي من الجماليات اللغوية إلى المضمرة النسقية

د/ سعيـدة تومي .أستاذ محاضر ب - جامعة البويرة.

s.toumi@univ-bouira.dz

نص المداخلة :

تتجلى كينونة الخطاب الأدبي في ترسيمات غريبة تجمع بين المتناقضات، فبين الواقع واللا واقع و بين الزمان و اللازمان، وبين المكان و اللا مكان و بين التاريخ و لا تاريخ وبين الحركة والسكون، و بين المقول و المسكوت عنه... الخ و بين كل هذا يضمن النقد لنفسه مكانا وسطا لزخم القراءات الباحثة في كوامن النص و نوايا المبدع وقضاياه.

وبذلك يفتح الخطاب النقدي على تساؤلات مستمرة لتحيل إلى تساؤلات أخرى لانهائية تبحث في المبدع والنص والقارئ و التاريخ و الإنسان، ومن فضاءات النقد المترامية تأسس النقد الثقافي الذي ما فتئ يتجاوز النص بوصفه أيقونة جمالية إلى فسيفساء ثقافية، لتسم النص الإبداعي بذلك الاشعاع الثقافي الذي يمتد إلى أفق رحب يقول النسق فيه ما لم يقله النص.

ولهذا ستحاول هذه الورقة البحثية استكشاف مضمرة النص الشعري التراثي بعيدا عن جمالياته اللغوية و أبنيته الدلالية الظاهرة ، ومن ذلك كان لا بد لنا ان نتساءل :

كـ ما الذي قاله خطاب الثقافة و لم يقله خطاب الأدب؟

كـ ما الذي يضمه النص الشعري التراثي من أنساق ثقافية؟

انبتق النقد الثقافي من رحم الدراسات الثقافية التي عملت على توسيع أفق التحليل متجاوزا في ذلك الحمولة اللغوية و بريقها الجمالي إلى رحاب الثقافة وامتداداتها الشاسعة.

1- المضمرة النسقية/ مساءلة المفاهيم : يمثل النقد الثقافي بديلا جديدا يتجاوز حمولة البلاغة الجمالية وتقويعات النقد إلى حدود أكثر إضاءة و أجدى نفعا و أوسع تشريحا ، حيث تمتد أوامره إلى الأنساق المضمرة ،

من خلال استشارة شرارة المضمّر التي تنطوي تلايبيها كمونات نسقية شديدة الحفاء تضيء الداخل ، فيكون النقد الثقافي في جدواه افتضاضا لمضامين النقد التقليدي ، و تجاوزا لها إلى أفق منداح لا تحدّه سماء تعلو فيه سلطة النسق على سلطة النص ، فقبحيات النص التي تخنفي وراء السكّنة الجمالية المؤسسة على أنساق متناقضة، قد لا تتزامن أبدا حيث النسق الظاهر يقول شيئا ، أما النسق المضمّر فيرسم ضمن تلايبيه وشائج ثقافية غير معلنة ضمن حفرة أيديولوجية تتبلور في حضورها ضمن نسق ثقافي لتقول شيئا آخر يتوارى وراء النسق الجمالي المعلن

1 .

ينبني النقد الثقافي على نظرية الأنساق المضمّرة، وهي أنساق ثقافية وتاريخية تتكون عبر البيئة الثقافية والحضارية، وتتقن الاختفاء تحت عباءة النصوص، كما لها دور فاعل في توجيه الثقافة، إنّه يتعامل مع النص على أنّه «حادثة ثقافية و ليس مجتلى أدبيا فحسب»². فلم يعد النظر إلى النظام الداخلي للغة وحده كافيا في البحث عن معنى النص، لأن التحليل اللغوي لا يقدم إلا المعنى الحرفي كما يعيد ذاته في كلّ مرّة في حين يبقى ما يحمله من مضامين اجتماعية وأعراف تاريخية وسياسية و نظم اقتصادية بعيدة عن التحليل والمعالجة.³

يحدد الباحث ضياء الكعبي الأنساق الثقافية بأنها نظم (Systems) بعضها كامن وبعضها ظاهر في أية ثقافة من الثقافات، تتفاعل في هذه النظم العلاقات المجازية عن التذكير و التأنيث الثقافيّين، والعرق والدين، والأعراف الاجتماعية والقيود السياسية، والتقاليد الأدبية و الطبقة و علاقات السلطة التي تحدد المواقع الفاعلة للدوات، و هذه النظم ذات صلة وثيقة بإنتاج الخطاب الإبداعي والفكري وطرائق تلقيه، والأنساق الثقافية لا تقتصر على الأدب الرسمي أو المعتمد في ثقافة ما، و إنّما تتجاوز ذلك إلى الأدب غير الرسمي أو غير المعتمد = الأدب الشعبي.⁴

تعتبر الأنساق المضمّرة والمعلنة من أهم مفردات النقد الثقافي وأبلغ الركائز التي يعتمد عليها فهي التي نجدّها في التعريفات التي ترى بأن النقد الثقافي هو تخصص: " معرفي أو أكاديمي ومنهج تحليل للثقافة من منظور اجتماعي"⁵. النسق في معناه الاصطلاحي الترابط والتساند فحين تتواصل الوحدات الوظيفية فيما بينها يمكن القول حينها بأنّها تؤلف نسقا وهذا الأخير يتكون من مجموعة العناصر التي ترتبط بعضها ببعض مع وجود مميزات تربط كل عنصر وآخر، ولهذا يتسم النسق المضمّر من حيث هو نظام بالمخاتلة واستثمار الجمالي و المجازي ليّمر جدلياته ومضمّراته التي لا تنكشف إلا بالقراءة الفاحصة.⁶

وعليه " يحمل أي نص نسقين متعارضين المضمّر ناسخ للظاهر ويستهلك المتلقي هذا النص بوصفه جماليا ويكون هذا النص ذا صبغة جماهيرية فإنه يتحتم على النقد الثقافي الكشف عن الحيل الثقافية في تمرير أنساقها

تحت أفضة ووسائل مختلفة وأهم هذه المداخل بل كما يرى "الغذامي" الحياة الجميلة، والنسق عنده يحمل دلالة مضمرة منغرسة في الخطاب هي من وضع الثقافة فالنسق يستخدم أفضة يحتفي خلفها من أهمها الجمالية اللغوية⁷ والنسق الثقافي هو تركيب لمفهوم النسق والثقافة وهي جل العناصر المتفاعلة والمتراطة والتمايزة التي تتصل بالمقدسات والمعتقدات والمعارف والفنون والأخلاق والعادات التي يكتسبها وينقلها الإنسان من مجتمع معين .

في ختام هذه الإطالة النظرية نستطيع القول إن النقد الثقافي أداة منهجية لقراءة وإعادة قراءة النصوص الأدبية وهو من الضروريات التي لا غنى عنها لتغذية النص الأدبي بمختلف أنواعه لاتساع مجالاته الثقافية ويعتبر النقد الثقافي فرعاً من الفروع التي تجاوزت السائد والمعروف والجمالي إلى عالم أدبي رحب وهو يبحث عن الثقافة داخل الأدب.

2- النص الشعري التراثي والمساءلة الثقافية : تسعى هذه المقاربة الثقافية إلى استنطاق نصوص الشعر العربي من وجهة مغايرة و مفارقة للقراءة النمطية تتجاوز فيها الرؤية الجمالية و البلاغية إلى استثمار الطرح الثقافي بوصفه من استراتيجيات ما بعد الحداثة لقراءة ما هو مضمّر من أنساق.

لقد تأسس النقد الثقافي على كشف المضمّر النسقي القابع خلف جماليات اللغة ، فكثيراً ما كانت البلاغة ستاراً تحتفي خلفه أنساقاً ثقافية شديدة الفعالية في ترسيم كوامن النص الإبداعي وتوجيه مساراته، ذلك « النقد الثقافي نشاط أو فعالية تُعنى بالأنساق الثقافية التي تعكس مجموعة من السياقات الثقافية و التاريخية و الاجتماعية و الأخلاقية والإنسانية و القيم الحضارية بل حتى الأنساق الثقافية الدينية و السياسية ، أما النص الأدبي فيتعامل معه ليس بوصفه نصاً جمالياً بل بمثابة نسق ثقافي يؤدي وظيفة نسقية ثقافية تضر ما هو مضاد للمعلن في النص الأدبي و يقصي الجانب الجمالي ووظيفته الشعرية»⁸.

تتحقق الوظيفة النسقية في أي نص من خلال ميل الثقافة إلى تمرير أنساقها تحت أفضة ووسائل خفية ، كالحيل الجمالية و الأخلاقية وعندها يتنازع النص نسقان، أحدهما مضمّر نقيض لآخر علني ، يحمل من القيم الجمالية و الأخلاقية ما يسمح له بغرس قيم الثقافة /النسق. ولا بد من أن يكون مقروءاً وواسع الانتشار وبذلك يمكن الوقوف من خلال آلية النقد الثقافي على ما للأنساق من فعل مؤثر وضارب في الذهن الاجتماعي والثقافي.⁹

لهذا ارتأينا في هذه الورقة البحثية الوقوف عند بعض نصوص الشعر العربي التراثي، هذا الشعر الذي كان السمة الغالبة للعرب، و هو علمهم الذي ليس لهم علم أصح منه كما ورد في الأثر ، إنّه الحامل لتاريخهم،

وما أثرهم و قصصهم و بطولاتهم ، و عوالم ثقافتهم و لأن «النص حادثة ثقافية نسقية فإنّ أنساقه تكتسب خاصية الانفتاح على فضاءات في الثقافة و الأيديولوجيا و التاريخ، بحيث تلحظ هاته المعطيات ، دون ان تكون متعالية على بنية الخطاب ، بوصفها بنية نصيّة مثل اللغة المشكّلة للنص، بالإضافة إلى كونها نموذجاً للتمثيل أو للفجوات النصيّة ...»¹⁰.

فإننا سنحاول الكشف عن الأنساق الثقافية في بعض نصوص الشعر العربي التراثي ، هذا الشعر الذي لطاماً كان محط فخرنا و اعتزازنا و لكنه في مقابل ذلك أيضاً - حسب الباحث عبد الله الغدامي - كان المخزّن الأخطر للأنساق الثقافية و هو الجرثومة المستترة بالجماليات التي ظلت تفعل فعلها و تفرز نماذجها جيلاً بعد جيل ليس في الخطاب الشعري فحسب بل في كل التجليات الثقافية بدءاً من النثر الذي تشعرون منذ وقت مبكر ، وكذا الخطاب الفكري والسياسي و التألّفي بما فيه النقدي و كذلك في أنماط السلوك و القيم و لغة الذات مع نفسها ومع الآخر¹¹ ، و تأسيساً على ذلك نستعرض الأنساق الآتية :

1-2- سلطة الفحل الحاكم أو النحن القبلية: و هو نسق يتكرر كثيراً في منظومة الشعر التراثي أين يكون الشاعر دوماً مدافعاً عن قبيلته ، فارضاً لسلطة القبيلة الحاكمة في مقابل استصغار آخر و تقزيمه ففي « معلقة عمرو بن كلثوم تبرز تجليات فكرية مكثفة لموضوع السلطة بوصفها إشكالية نسقية تجلي في أبعادها الدلالية رؤية الشاعر الجاهلي تجاه مجتمعه و هي رؤية وجودية نافذة تقرأ الواقع بكلمة تفاصيله ، و تحاول بثقافتها الإبداعية رصد هذا الواقع و تشظيات آماله و آلامه »¹².

جاء في معلقة عمرو بن كلثوم:¹³

ورثنا مجد علقمة بن سيف *** أباح لنا حصون المجد دينا
ورث مهلهلا و الخير منهم *** زُهيراً نعم ذخر الذاخرين
وعتاباً و كلثوماً جميعاً *** بهم نلنا تراث الأكرمين
(...)

متى نعقد قرينتنا بجبل *** نجد الوصل أو نقص القرينا
ونوجد نحن أمنعنا ذماراً *** و أوفاهم إذا عقدوا يمينا
ونحن غداة أوقد في خزار *** رفدنا فوق رفد الرافدينا

ونحن الحابسون بزدي أراطى *** تسف الجلة الحور الدرينا

ونحن الحاكون إذا أطعنا *** ونحن العازمون إذا عطينا

و نحن التارركون لما سخطنا *** نحن الآخذون لما رضينا

إنّ فاعلية النحن القبليّة في الخطاب الشعري المائل أماننا تكرس الفخر و قيم القوة، و القدرة على الالتزام بالعهد، تؤكد حضور القبيلة و الغاء ما سواها و لهذا « يتضام صوت الأنا مع الحضور النحني المكثف ليبرهن فاعلية الأنا في إطار الثقافة الجمعيّة المشتركة، و التي تؤسس بدورها لفكرة المجد الأبدي الذي يدحض ثيمة الفناء، و يخلد الفعل البطولي الإنساني من خلال أسطرة النماذج الإنسانية التي تكبح سلطة الزمن و تفرض وجودها بفعل الأثر الخالد»¹⁴.

هذا الحضور الطاعني للنحن القبليّة و اقضاء الآخر يكرس قيم الأنا، و يجرّض على القوة و السيطرة على الآخر المختلف وهو ما يفضي إلى العنف و الحرب.

2-2- العنف و تمجيد الحرب : يعد العنف نسقا ثقافيا قديما وهو من الظواهر الخطيرة التي انتشرت بين المجتمعات ومنها المجتمع العربي، وتسربت إلى جميع الخطابات السياسية و الإعلامية والثقافية وحتى الشعرية ما جعل الشعر يحمل دوما تمجيذا للعنف و الدعوة إلى الحرب ، قيما حطّت من قيمة الحياة،¹⁵ و كرس ثقافة القوي المنتصر العنيف .
ورد في معلقة بن كلثوم أيضا :

نُطَاعِنُ ما تراخي الناس عَنّا *** ونضرب بالسيوف إذا عُشينا

(...)

نَشُقُّ بِها رُؤُوسَ القَوْمِ شَقًّا *** وَنَحْتَلِبُ الرِّقَابَ فَتَحْتَلِينَا

نَجْدُ رُؤُوسَهُمْ في غير بَرٍّ *** فَمَا يَدْرُونَ ماذَا يَتَّقُونَ

كَأَنَّ سيوفنا مِنّا ومنهم *** مخاريق بأيدي لاعبيننا

كَأَنَّ ثِيَابِنَا مِنّا ومنهم *** حُضِبِنَ بِأَرْجُوانٍ أو طُلبِنَا¹⁶

إنّ النص مغلف بجمالية لغوية رائعة ، تفصح في نسقها الظاهر عن القوة والعظمة والفخر ، غير أنّ مضمورها يفرض بشكل لا واع قيمّ العنف والقتل والموت ، إنّ قطع الرقاب و شقّ الرؤوس، وتقطيعها في كلّ الأرجاء، وصوّر قاسية لا يعرف فيها الآخر كيف يتقي شرّهم من القتل و سبي الحرّيم و استباحة الأموال وكلّ هذا دليل القوة والبطش ، وتأكيد على القسوة و العنف وعدم الايمان بالحوار مع الآخر لحل الخلافات والنزاعات ، ما يجعل الخطاب الشعري يرسم ملامح وعي نائر و غاضب يؤمن بالقوّة الرهيبة و القدرة العالية على قهر الآخر وايدائه.

وهو ما نلمحه أيضا في نصوص شعرية كثيرة للمتنبّي تتوضح فيها خطاب العنف بدل خطاب الحوار والتفاهم و الانسجام :¹⁷

قضاة تعلم أيّ الفتى الـ *** ذى ادخرت لـصروف الزمان

(...)

أنا ابن الفيافي أنا ابن القوافي *** أنا ابن السروج أنا ابن الرعان

طويل النجاد طويل العماد *** طويل القناة طويل السنان

(...)

يُسابق سَيْفِي مَنَايَا العباد *** اليهم كأنهما في رهان

يرى حدّه غامضات القلوب *** إذا كنت في هبوة لا أراي

سأجعله حَكَمًا في النفوس *** ولو ناب عنه لساني كفاني¹⁸

يضمّر هذا النص العنف في تأكيده على مظاهر القوّة و الاعتزاز بها و تحكيم السيف قبل الكلام / الحوار ، ما يعزز قيمّ الصراع بين الأفراد ، وهي نص يعكس تصاعد العنف في خطاب المتنبّي ، و هي المضمّرات نفسها في النص الآتي :

يخيّل لي أنّ البلاد مسامعي *** و أيّ فيها ما تقول العواذلُ

ومن يَبغِ ما أبغي من المجد و العلى *** تَساوُ الحايبي عنده و المقاتلُ

ألا ليست الحاجات إلّا نفوسكم *** وليس لنا إلّا السيوف و سائلُ

كل ما عرضناه يعزز قيم العنف في الثقافة المجتمعية، يجعل من نسق العنف ووسائلها كالسيوف و الخيول و الرماح صفات إيجابية يتحلى بها، ما يجعله نموذجاً يقتدى به.

يتسرب العنف في ضوء هذه النصوص إلى سلوكياتنا، فنقصي الحياة ونكبت الحب وننسى تعاليم ديننا الحنيف القائم على السلم والسلام وثقافة الحوار حتى بين الأديان، فيصبح العنف نسقاً واضح المعالم في أدبياتنا وتعاملاتنا، وتصف هذه النصوص عواطف للإنسانية مشحونة بالغضب والقسوة. إنها في حقيقتها دعوة إلى تدمير الآخر وسحقه، وهذه « علامة كاشفة على مدى الخراب النسقي الذي أحدثه الشعر في سلوكيات الثقافة ». ¹⁹

2-3- نسق الملك الضائع أو السلطة الضائعة ²⁰: وهو ما وقف عنده الباحث يوسف عليما في معلقة امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل *** بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها *** لما نسجتها من جنوب و شمال
ترى بعمر الآرام في عرصاتها *** و قيعانها كأنه حب لفل
كأني غداة البين يوم تحملوا *** لدى سمرات الحي ناقل حنظل
وقوفا بها صحي علي مطيهم *** يقولون لا تهلك أسي وتجمل
وإن شفائي عبرة مهراقة *** فهل عن رسم دارس من معول

يؤسس هذا المقطع طقسية بكائية متعددة الوظائف و الأبعاد ضمن النسق الأيديولوجي ، إذ تتجلى هذه الطقسية و قد ارتبطت بالبعد الإنساني على المستوى الأولي : قفا (الانسان / المجموع وتشظياته حبيب /الإنسان/ القتل الملك المسلوب ماضيا) ومن ثم ترتبط بالبعدين الزماني المختزل (ذكرى الحبيب/ زمن السلطة / الملك)، والمكاني المكثف (سقط اللوى و الدخول و حومل توضح ، المقراة). ²¹

بين الماضي الأليم و حنين الموقف و الذكريات يجسد المكان ذاكرة ثقافية مشحونة بالأحداث والوقائع والحروب التي مرت على المكان فأضحى مسكوناً من قبل الحيوان، ليغدو المكان موحشاً و غريباً، و «هذا التحول المؤلم في عالم السلطة من المركز – الثبات إلى الرحيل عن هذه السلطة إلى آفاق المجهول وهو ما دفع الشاعر إلى

رثائها بدموع حرى لا تنقطع، تماما كما هو حال ناقف حنظل و ذلك إشارة منه إلى لذة الفقد و إحساسه العميق بفداحة المأساة». ²² بخسارة الملك والسلطة، ومركزية النحن.

لقد كانت فاتحة النص في معلقة امرئ القيس مسؤولة عن تهدم البناء الاجتماعي وغياب السلطة السياسية، و تشكل الخواء المكاني، فقد تمكن الشاعر من استحداث أدوات واستراتيجيات ثقافية واعية شكلتها مقاطع المعلقة فقد أسهمت هذه الاستراتيجيات في تأسيس ملامح هوية جديدة لتعلن فاعلية الذات و تركزها في إطار الجماعة. ²³ وهو الهاجس الذي عاش من أجله الشاعر العربي طويلا مدافعا قويا عن القبيلة لا ير ذاته إلا داخلها.

2-4- الصوت المهمش في شعر عنتره :

أفرزت دراسات ما بعد الكولونيالية الحديث عن مفهوم القراءة الطباقية عند ادوارد سعيد وهي القراءة التي تهدف إلى الكشف عن كلّ الأصوات التي تشكل الحياة الثقافية وإعطائها فرصة للظهور والكشف عن ما ترغب في البوح به كما « تهدف إلى معالجة النص و ما يتضمنه من المسكوت عنه و المنطوق به في علاقته بالعالم الذي انبثق عنه هذا النص ، و الذي يخاطبه في ذات الوقت ». ²⁴

بإيجاز، ادوارد سعيد يعتبر أن مقارنة الظاهرة الأدبية لا ينبغي أن تركز على طرف واحد بتغليب على الطرف الآخر بمبررات إيديولوجية، إذ وجب منح الظاهرة الأدبية وحدتها وتماسكها وانسجامها الداخلي بشكل يكشف عن غناها. وهو ما يفسح المجال لكل الأصوات لتفصح عن نفسها بدل قمعها أو إغفالها.

إنّما القراءة التي تركز في استكناها للبنى النصية على تجليات الصراع الإنساني وكذلك تلمظهرات العمل الإنساني المقاوم لأنّ الصراع بين نماذج الخطاب المختلفة، و التحديدات المتباينة و كذلك المعاني في إطار الإيديولوجيا عادة ما يكون صراعا حول المدلول: أي أنّه صراع من أجل الاستحواذ على الإشارة التي تمتد إلى معظم المساحات العادية في الحياة اليومية. ²⁵

ولاشك في أنّ صراعات الأيديولوجيا و الهوية تبرز مفارقات ضدية في منظور النقد الما بعد كولونيالي بين المقدّس و المدّس في الفكر الإنساني و تطرح جدليات حادة يجسدها قانون الضدية بين المركزي / السلطوي الهامشي. ²⁶

تكشف القراءة الطباقية، إذن، عن الأصوات الإنسانية التي تنبثق عن طريق المقاومة، ونستعيد من خلال خصوبة الحياة الإنسانية التي قمع فيها الصوت الأقوى بعنصريته الدفينة سائر الأصوات الأخرى، لذا يبدو البحث في إشكالية الهوية مسارا فاعلا في منهج القراءة الطباقية ، خاصة و أن « الهوية تعطي للإنسان معنى يشرح دلالات حياته و حينما يتحول معنى الهوية إلى رصيد من التجارب المتوارثة إلى درجة تصبح معها الأسماء و الألسنة و الثقافة مادة لتمييز شخص عن شخص ثم تصبح مادة لضماير أخطر من ضماير الذات أي : نحن و هم ، و إن كانت الخصائص الذاتية أساسا لتمييز الشخص من اسمه و لغته و لونه فهي أيضا مادة لفرزه عن الآخرين المختلفين عنه مثلما هي مادة لجذبه لمن هم على شاكلته ».²⁷

وهو ما يفسح المجال للحديث عن الهوية المقاومة و التي تنتج عن النشاط الواقعيين في موقع أو في حال التقليل أو التصنيف الدوني كنتيجة لسلوك ومنطق العناصر المهيمنة ، ومن هنا يبني الهامشيون خنادق للمقاومة والدفاع عن وجودهم على قواعد ومبادئ مغايرة أو مضادة لما هو عند القوى المهيمنة و هذه سياسة انبثاق الهوية.²⁸

و يجنح المهجين في الثقافة الإنسانية دائما إلى الرفض و المقاومة بوصفه إفرارا من إفرارات الصراع حول تكريس سلطة الهوية ذاتها، إذ أنّ المهجين كما يرى ويلسون هاريس يناضل دوما في الحاضر لتحرير نفسه من ماض يمجّد الأسلاف و يعلي قيمة النقيّ على نقيضه الذي يهدده .²⁹

تأسيسا على قدمناه يأتي نص عنتر بن شداد بوصفه نصا ثقافيا بامتياز يضم في ثناياه الصراع الطبقي بين السلطة/ القبيلة و المهمش أو المهجين بوصفه صورة للعبيد الذي لطالما كان مهمشا له منزلة دونية عن الآخر المهيمن/ القبيلة.

ولكن هذا الصوت المهمش يسعى دوما إلى إثبات ذاته و تفعيل وجوده و يستعرض قدراته أمام السلطة المهيمنة التي لا تنفك دوما تستصغره و تهمشه ولا تعترف بشرعيته و هو ما يعد ظلما و تحاونا بإنسانية العبيد / الشاعر وتجسيدها للهوية المقاومة ييوح بتمرده و يعلن عن تحديه لظلم القبيلة بظلم أقوى و أفسى :

فإذا ظلمت فإنّ ظلمي باسل ** مرّ مذاقه كطعم العلقم**

إنّ النسق المهمش يصرح بتحديه للقبيلة / النسق المهيمن بظلم صعب التفادي أو التخلص منه ، فالظلم الذي يعلنه عنتر صوتا و فعلا ما هو إلا ردّ عملي يتبناه النموذج الإنساني المقهور إزاء مرارة العبودية التي عاشها في عالم القبيلة الآسرة .³⁰

فالشاعر بدا قادرا على العنف و خوض الحروب فُدّرته على الحنان و طيب المعاشرة، إنّه وقت الحرب فارسا
كرما عاليّ الهمة ، مقداما لا يعرف الاستسلام.

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك *** إن كنت جاهلة بما لم تعلمي

يخبرك من شهد الواقعة أنني *** أغشى الوغى و أعفّ عند المغنم

ومدّجّ كره الكُماة نزاله *** لا ممعن هربا ولا مستسلم

جادت له كفيّ بعاجل طعنة *** بمثقف صدق الكعوب مقوم

فشككت بالرمح الأصمّ ثيابه *** ليس الكرم على القنا بمُحرّم

و تظل المعلقة مفتوحة على الكثافة الدلالية التي ترسم صورة البطل الذي يشكّل عالمه الخاص و يسعى إلى
ترسيخ تجارب عدة مع المحبوبة و المكان و النسق المضاد / القبيلة ، اسماعا لصوته و تفعيلا لكيونته في مواجهة
صريحة للهيمنة التي تمارسها القبيلة في حق النسق المهمش / العبيد بهيمنة مضادة تحترم الانسان و تعلي من قدر
الإنسانية على اختلافها و تنوعها و تعدد ألوانها.

خاتمة: تأسيسا على كل ما ذكرناه يمكننا تلخيص ذلك في ثنائية (الجميل الشعري / القبيح الثقافي)، ففي
خطابنا الشعري التراثي جماليات لغوية لا ينكرها أحد مازلنا نفخر بها و نستمتع بسماعها و تعجبنا بلاغتها، إلّا
أنّ ذلك يضمّر أنساقا ثقافية في غاية الخطورة و الجدية ، و البحث فيها من ضروريات النقد الثقافي.

النقد الثقافي فعل قراءة بالأساس للخطاب الأدبي و سّع من امكانياتها التأويلية و كشف فيها عن أبعاد
وزوايا كانت مغيبة و مقصاة من القراءة و الكشف في ظل النقد الأدبي، إنّه ليس منهجا و إنّما قراءة موسعة
للخطاب ولهذا لا يمكن ضبط خطواته الإجرائية لأنّه محكوم بالتعددية الثقافية ، إنّه يستفيد من كل المناهج و
الآليات التي تتيح له قراءة الخطاب و كشف أنساقه المضمرّة.

الهوامش و الإحالات :

¹ - سعيدة تومي و آخرون ، النقد الثقافي / قضايا ورؤى، دار ألفا للوثائق و النشر و التوزيع، الجزائر ، ط1، 2020، ص 14/13.

- 2- عبد الله الغدامي - النقد الثقافي / قراءة في الأنساق الثقافية العربية - المركز الثقافي العربي - بيروت - ط3 - 2005 - ص65.
- 3- سعيده تومي و آخرون ، النقد الثقافي / قضايا ورؤى، ص 23.
- 4- ضياء الكعبي ، السرد العربي القديم / الأنساق الثقافية وإشكالية التأويل ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت، ط1، 2005، ص 23/22.
- 5- ساميون ديورنغ: الدراسات الثقافية (مقدمة نقدية)، تر: ممدوح يوسف عمران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الكويت، عدد يونيو 2015، ص:9.
- 6- يوسف عليمات ، النقد النسقي / تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، الأهلية للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط1، 2015 ، ص9.
- 7- محمد بن لافي اللويش: جدل الجمالي والفكري(قراءة في نظرية الأنساق المضمره عند الغدامي) ، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2010 ، ص:147.
- 8- سمير خليل ، النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب ، دار الجواهري، العراق ، ط1، 2012، ص 7.
- 9- العربي الحضراوي ، النقد الثقافي و أثره في تأصيل المنهج بين الحمولة الفكرية و الخصوصية الثقافية ضمن الكتاب الجماعي مطارحات في النقد الثقافي ، دار ألفا للوثائق و النشر و التوزيع، الجزائر ، ط1، 2020، ص 152.
- 10- يوسف عليمات ، النقد النسقي / تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، ص 20.
- 11- ينظر : عبد الله الغدامي - النقد الثقافي / قراءة في الأنساق الثقافية العربية - ص 87.
- 12- يوسف عليمات ، النقد النسقي / تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، ص 70.
- 13- معلقة عمرو بن كلثوم . و ينظر أيضا : يوسف عليمات ، النقد النسقي / تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، ص 70.
- 14- يوسف عليمات ، النقد النسقي / تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، ص 85.
- 15- سعيده تومي ، المضمرة النسقي في الشعر الأموي ، مجلة العمدة في اللسانيات و تحليل الخطاب ، المجلد 3، العدد2، 2019، ص 62.
- 16- ينظر : أبي عبد الله الحسين بن احمد الروزي - شرح المعلقات العشر- ص: 209-210.
- 17- ينظر : سعيده تومي و آخرون ، النقد الثقافي / قضايا ورؤى، ص 35/34.
- 18- أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي - ديوان المتنبي - دار بيروت للطباعة و النشر - بيروت - 1983 - ص 33.
- 19- عبد الله الغدامي - النقد الثقافي / قراءة في الأنساق الثقافية العربية - ص157.
- 20- يوسف عليمات ، النقد النسقي / تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، ص 33.
- 21- المرجع نفسه ، ص 33.
- 22- المرجع نفسه ، ص 35.
- 23- المرجع نفسه ، ص 64.
- 24- حسين حمير ، القراءة الطباقية عند ادوارد سعيد ، مجلة انثربولوجية الأديان ، المجلد 9، العدد2 ، جامعة أبي بكر بلقاسم ، تلمسان ، ص 194.
- 25- يوسف عليمات ، النقد النسقي / تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي ، ص97.
- 26- المرجع نفسه - ص 99.
- 27- عبد الله الغدامي ، القبيلة و القبائلية / هويات ما بعد الحداثة ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، ط2، 2009، ص 51.
- 28- المرجع نفسه ، ص 51.
- 29- يوسف عليمات ، النقد النسقي / تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، ص101/100.
- 30- المرجع نفسه ، ص 128.

*قائمة المصادر و المراجع :

-
1. أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي - ديوان المتنبي - دار بيروت للطباعة و النشر - بيروت - 1983- ص 33.
 2. أبي عبد الله الحسين بن احمد الزوزني - شرح المعلقات العشر- ص: 209-210.
 3. حسين حمير ، القراءة الطباقية عند ادوارد سعيد ، مجلة انثربولوجية الأديان ، المجلد 9، العدد2 ، جامعة أبي بكر بلقاسم ، تلمسان ، ص 194.
 4. ساميون ديورنغ: الدراسات الثقافية (مقدمة نقدية)، تر: ممدوح يوسف عمران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الكويت، عدد يونيو2015، ص:9.
 5. سعيدة تومي ، المضمرة النسقي في الشعر الأموي ، مجلة العمدة في اللسانيات و تحليل الخطاب ، المجلد 3، العدد2، 2019، ص 62.
 6. سعيدة تومي و آخرون ، النقد الثقافي / قضايا ورؤى، دار ألفا للوثائق و النشر و التوزيع، الجزائر ، ط1، 2020، ص 14/13.
 7. سمير خليل ، النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب ، دار الجواهري، العراق ، ط1، 2012، ص 7.
 8. ضياء الكعبي ، السرد العربي القديم / الأنساق الثقافية و إشكالية التأويل ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت، ط1، 2005، ص 23/22.
 9. عبد الله الغدامي - النقد الثقافي / قراءة في الأنساق الثقافية العربية - المركز الثقافي العربي - بيروت - ط3- 2005- ص65.
 10. عبد الله الغدامي ، القبيلة و القبائلية / هويات ما بعد الحداثة ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، ط2، 2009، ص 51.
 11. العربي الحضراوي ، النقد الثقافي و أثره في تأصيل المنهج بين الحمولة الفكرية و الخصوصية الثقافية ضمن الكتاب الجماعي مطارحات في النقد الثقافي ، دار ألفا للوثائق و النشر و التوزيع، الجزائر ، ط1، 2020، ص 152.
 12. محمد بن لافي اللويش: جدل الجمالي والفكري(قراءة في نظرية الأنساق المضمرة عند الغدامي) ، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2010 ، ص:147.
 13. يوسف عليمات ، النقد النسقي / تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، الأهلية للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط1، 2015 ، ص9.